3. الفصل الثاني

بعض مما كُتِب عن مصر

في هذا الفصل سنستعرض معاً ما استطعت تجميعه من فقرات من بعض الكتب التي تتناول الحديث عن مصر من وجهات نظر مختلفة وبأساليب مختلفة ومتباينة ولكن معظمها يصف فضائل مصر بأسلوب الكاتب ، ويختلف أسلوب الكاتب طبقاً لطبيعة العصر الذي عاش فيه وبيئته ومشاربه الفكرية وتوجهاته وآراءه فكل فقرة لها مذاق خاص إذا جاز التعبير ، وأرجو أن تستمتع بهذه الكتابات وتتأملها جيداً كما استمتعت أنا بها

من مقدمة كتاب المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور :

الكتاب تأليف محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري حيث يقول غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه :

اعلم – وفقك الله – أن مصر من أجل البلاد قدراً ، قال تعالي مخبراً عن فرعون (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) وأما بالإشارة والإيماء فمنها قوله تعالي (كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم) يعني مصر ، وأما ما ورد فيها من الأخبار النبوية فمنها قوله صلي الله عليه وسلم (إذا فتح الله عليكم بعدي مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض ، لأنهم في رباط إلي يوم القيامة) ، قال أبو الريحان : ولد بمصر من الأنبياء موسي وهارون عليهما السلام ، وولد بها يوشع بن نون ودخل إليها عيس بن مريم وأقام بقرية بالصعيد ، ودخل مصر من الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ، ويعقوب ويوسف والأسباط وأرمياء ، ودخل إليها دانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام ، ودفن بها من العلماء جماعة كثيرة كما سيأتي ذلك في مواضعه ، وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذي أثني الله تعالي عليه في القرآن ، ومنهم آسية إمرأة فرعون التي أخبر الله تعالي عنها في كتابه ، قال مساعد الغوثي في كتاب طبقات الأمم : ليس في بلد أعجوبة إلا وفي مصر مثلها أو أعجب منها وقال كعب الأحبار رضي الله عنه : من أراد أن ينظر إلي شبه جنة الفردوس فلينظر إلي أرض مصر ، قيل قبل طلوع الشمس في زمن ربيعها إذا اطردت أنهارها ، وغردت أطيارها ، وأينعت أزهارها وقد قال القائل في المعني :

ما مثل مصر في زمان ربيعها لصفاء ماء واعتلال نسيم

أقسمت ما تحوي البلاد نظيرها لما نظرت إلي جمال وسيم

وقال المسعودي (إن كل قرية من قري مصر تصلح أن تكون مدينة علي انفرادها) وقد قال الله تعالي في حق قري مصر (وابعث في المدائن حاشرين) ، وقال القضاعي (لم يكن في الأرض ملك أعظم من ملك مصر ، ولو ضرب بينها وبين سائر قري الدنيا سور لاستغني أهلها بما فيها عن سائر البلاد ، ولو زرعت كلها لوفت بخراج الدنيا بأسرها)

وقد قيل عن مصر :

كل وقت بمصر أمر عجيب نحن منه في السعد كالأغنياء

ذهب حيث ذهبنا ، ودر حيث درنا وفضة في الفضاء

وقال الوردي رحمه الله :

ديار مصر هي الدنيا وساكنها هم الأنام فقابلها بتقبيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل[29]

القاهرة مدينة يسكنها التاريخ :

وفي مقدمة كتابه الرائع (القاهرة رحلة في المكان والزمان) كتب المؤلف عرفه عبده علي ما ملخصه :

عبقرية المكان – – – وعطاء التاريخ – – – شكلا موضع الجلال وموطن الجمال للقاهرة التي ظلت منذ نشأتها مصدراً للإشعاع الحضاري والتجدد الثقافي ، فتبوأت مكانتها كأهم مراكز الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية في العالم الإسلامي ، وقد تفردت القاهرة ، بين مدن العالم بما تزخر به من تراث حضاري إنساني شكل طوقاً بديعاً علي صدرها بتنوع ووفرة آثارها وقيمتها التاريخية تمثل العصور المتعاقبة والمتصلة للتاريخ الإسلامي إلي تأسيس مصر الحديثة في عصر محمد علي باشا ثم عصر إسماعيل العظيم ، وقاهرة الشرق لا حد لروعتها وما استطاع الزمان أن يطمس طابعها وجلالها ، وكم بهرت رحالة وأدباء وفنانين وشعراء ومؤرخين بما حبتها الطبيعة وما أضفاه عليها التاريخ من عراقة ، وما ارتفع علي أرضها من آيات الفن ، مدينة يسكنها التاريخ ، شوارعها حكايات وبيوتها وسراياتها ومساجدها مشربيات علي تاريخ حافل مثير وللقاهرة في نفوس المصريين خاصة والعرب عامة إيقاع شجي ونغم يحمل في طياته شتي أنواع الألم والحسرة علي ماض جميل يكاد يندثر ، وكم شغفت بالتجوال بين شوارعها وحواريها وأسواقها وميادينها ، وأطوف بين معالمها ، وبعض الزمان يتعلق بأحجار المباني وكل حجر يحمل بصمات فنان ، أسوار ، أبراج ، بوابات مساجد ، مآذن تطاول االسماء في إيحاء عميق ، وأخري تتراءي كأطياف من بعيد وأسبلة وحمامات ووكالات وحدائق ومتاحف وبيوت وقصور ، ديكورات لمشاهد صنعت التاريخ ، أمثلة رائعة للجمال تحكي في صمت قصة آلاف الفنانين بناة الحضارة ، وأسرع الطرف عجباً أتحسس بنظرات رفيقة جدران عتيقة تراكم عليها الزمان لعلها تجلو لي سراً من أسرار القاهرة ، لا يزال ماء الذهب يسطع ببهجة أيامه الغابرة ، وحيث سجل حياة مدينتنا ، مرصع بأسماء كثير من العظماء الذين تركوا أثراً عند كل موقع ، ويأخذني انطباع سحري يوحي بما كان عليه الحال في سالف الزمان ، وما بين صخب الزحام وروائح التوابل والعطور وتناغم الألوان والظلال تمضي المشاهد وكأنها الرؤي ويتشعب الحديث عبر مسالك الزمان والمكان ويبقي تراث القاهرة حياً في الثقافة والتقاليد الموروثة وفي شواهد المجد والعز القديم ، وما أروع ما قاله الأديب الفرنسي أندريه مالرو : مصر هي التي اخترعت الخلود ، وأنظروا إلي العمارة[30]

السبق الحضاري ملمح أساسي في شخصية مصر :

عن هذا الموضوع كتب د جمال حمدان ما يلي : ، ، – --- إنها البلد الوحيد الذي يلتقي فيه نهر النيل بالبحر المتوسط ، الأول بالطول والثاني بالعرض ، الأول بعد رحلة سحيقة شاقة مفعمة بالأخطار والمخاطر وبالعقبات والسدود ، الجيولوجية والمناخية والنباتية والطبوغرافية والهيدروليجية ، كل منها كان يمكن وحده أن يشتته

---

[29] مقتطفات مختصرة من مقدمة كتاب المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي

[30][30] نقلاً عن كتاب القاهرة رحلة في المكان والزمان تأليف عرفه عبده علي–تقديم الأديب الكبير جمال الغيطاني – الهيئة المصرية العامة للكتاب 2009

يجهضه يقطع عليه الطريق ولكنه يجتازها جميعاً بإلحاح ثم بنجاح – لمصر يجتازها ، والثاني يصلنا في أقصي نهايته ونهاية مطافه ، الأول أوسط أنهار الدنيا موقعاً وأطولها وأعظمها ، والثاني أوسط بحار الدنيا ، سيد البحار وأعرقها ، إنه لقاء الأكفاء والأنداد والأفذاذ جغرافياً ، أبو الأنهار وأبو البحار ، مهد الفلاحة ومدرسة الملاحة ، نهر الحضارة وبحر التاريخ ، أو نهر التاريخ وبحر الحضارة سيان ، وبهذا اللقاء مع التحام القارتين وتقارب البحرين فكأنها كل أصابع الطبيعة تشير إلي مصر ، وكأن خطة علوية عظمي قد رتبها الجغرافي الأعظم لتجعل منها قطباً جغرافياً أعظم في العالم القديم ، فكانت حضارة مصر النيل الفرعونية ، الحضارة الأولي في التاريخ ، الرائدة المشعل ، وسواء كانت صدفة سعيدة أو نتيجة حتمية ، فتلك ملحمة جغرافية ترجمت إلي ملحمة حضارية ، سواء أكانت هذه الحضارة البكر الخلاقة من خلق النيل المعلم ، أو الفلاح المصري الملهم ، فإنها ثمرة الزواج الموفق السعيد بين أبي الأنهار وأم الدنيا – – – وفي جميع الأحوال ، فإن مصر هي واسطة كتاب الجغرافيا تحولت إلي فاتحة كتاب التاريخ ، وفي جميع الأحوال أيضاً ، فإن السبق الحضاري ملمح أساسي بلا نقاش في شخصية مصر ، وأخيراً وليس آخراً فلقد أبدت هذه الحضارة استمرارية نادرة فعمرت بصلابة وتماسك آلاف السنين[31]

<u>عمرو بن العاص يصف مصر لأمير المؤمنين :</u>

قال بعض المؤرخين : إنه لما استقر عمرو بن العاص رضي الله عنه علي ولاية مصر كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن صف لي مصر فكتب إليه :

ورد كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألني عن مصر ، اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر (أيام) ، يكنفها جبل أغبر ، ورمل أعفر ، يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ميمون الروحات ، تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر ، له أوان يدر حلابه ، ويكثر فيه دبابه ، تمده عيون الأرض وينابيعها حتي إذا ما اصلخم (اشتد) عجاجه وتعظمت أمواجه ، فاض علي جانبيه فلم يمكن التخلص من القري بعضها إلي بعض إلا في صغار المراكب ، وخفاف القوارب – – فإذا تكامل في زيادته ، نكص علي عقبيه كأول ما بدأ في جريته ، وطما في درته ، (زيادته وفيضه) ، فعند ذلك يحرثون بطون الأرض ويبذرون بها الحب ، يرجون بذلك النماء من الرب ، – – فإذا أحدق الزرع وأشرق ، سقاه الندي وغذاه من تحته الثري ، فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، إذا هي عنبرة سوداء ، فإذا هي زمردة خضراء ، فإذا هي ديباجة رقشاء فتبارك الله الخالق لما يشاء ، -- – – – – فلما ورد الكتاب علي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لله درك يابن العاص ، لقد وصفت لي خبراً كأنني أشاهده[32]

---

[31] نقلاً باختصار عن كتاب – مختارات 2 من شخصية مصر – دراسة في عبقرية المكان – د جمال حمدان ، مكتبة مدبولي ، صفحات 72–73–74

[32] نقلاً باختصار عن كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (813–874) – قدمه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية – صفحة 42 ، 43

ومما قيل أيضاً عن فضائل مصر ما يلي :

من شاهد الأرض واقطارها والناس انواعا واجناسا ولا رأى مصر ولا اهلها فما رأى الدنيا ولا رأي الناس , فهي أم البلاد وهي أم المجاهدين والعباد قهرت قاهرتها الامم ووصلت بركاتها إلى العرب والعجم , هي بلاد كريمة التربة , مؤنسة لذوي الغربة فكم لمصر واهلها من فضائل , ومزايا , وكم لها من تاريخ في الاسلام وخفايا منذ أن وطئتها اقدام الانبياء الطاهرين ومشت عليها اقدام المرسلين المكرمين والصحابة المجاهدين.إذا ذكرت المصريين ذكرت الكعبة والبيت الحرام فإن عمر رضي الله تعالى عنه , ارسل إلى عامله في مصر أن يصنع كسوة للكعبة المشرفة , فصنعت الكسوة من عهد عمر رضي الله عنه وظلت كسوة الكعبة تصنع في مصر سنة تلو سنة حتى مرت اكثر من الف سنه وكسوة الكعبة ترسل من مصر إلى مكة ولم يتوقف ذلك إلا قبل قرابة المئة سنة .إذا ذكرت المصريين ذكرت الحجاج والمعتمرين فإن البعثة الطبية المصرية كانت في الحج لسنوات طويلة هي ابرز ماينفع الحجاج في علاجهم يأتون من اقطار الدنيا لأجل أن يلتقوا بهذه البعثة المصرية ..إذا ذكرت المصريين , إذا ذكرت الدفاع عن فلسطين وذكرت الجهاد والمجاهدين فصلاح الدين اقام بمصر ,وكثير من قواده منها وابرز المعارك مع اليهود قادها مصريون ..إذا ذكرت المصريين ذكرت امنا هاجر , ومارية القبطيه ذكرت اخوال رسولنا ,واصهار نبينا فمصر هي كوكبة العصر , وكتيبة النصر وديوان القصر , ام الحضارة وام المهارة ومنطلق الجدارة ..ارض العزة و بلاد القطن , والبز ..ذكر الله تعالى مصر في القرآن وبين الله جل وعلا اسمها صريحا في اربعة مواضع في كتابه , تشريفا لها وتكريما فقال الله جل وعلا ((وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ)) يوسف:21 .وقال سبحانه ((ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ)) يوسف:99وقال جل وعلا ((وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا)) يونس:87 .وقال تعالى قاصا عن فرعون لما قال ((أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ)) الزخرف:51ليس هذا فقط بل اشار الله تعالى إلى مصر ولم يصرح باسمها في 30 موضعا في القرآن كقوله جل وعلا ((وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ)) [القصص:15] يعني:مصر .وقوله جل وعلا ((قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ))[الاعراف:109] إلى آخر هذه المواضع .إن مصر هي الارض الطيبة التي قال الله تعالى عنها لما طهرها الله تعالى من فرعون وقومه مدح الله تعالى مصر فقال((كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿25﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿26﴾)) الدخان إن مصر فيها خزائن الأرض بشهادة ربنا جل وعلا لما قال ليوسف عليه السلام((قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ))) يوسف. 55ولم يذكر الله تعالى قصة نهر في القرآن إلا نهر النيل قال جل وعلا : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ))[القصص:7] يعني في نيل مصر .وفي مصر الوادي المقدس طوى , وفيها الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام , وفيها الجبل الذي تجلى الله سبحانه إليه فانهد الجبل دكا, وهي مبوء الصدق الذي قال الله تعالى عنه((وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ))[يونس:93]وفي أرضها يجري نهر النيل المبارك الذي ينبع من أصله من الجنة : [قال عليه الصلاة والسلام , النيل وسيحان وجيحان والفرات من انهار الجنة] رواه مسلم .وفي ارض مصر الربوة التي أوى إليها عيسى عليه السلام وأمه قال جل وعلا ((وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)) [المؤمنون : 50] وعلى أرض مصر ضرب موسى عليه السلام بعصاه

فانفلق الحجر له ماءا وانشق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم نعم إنها مصر.. إذا أردت القرآن وتجويده فالتفت إلى مصر..إذا اردت اللغة والفصاحة فإنك تنتهي إلى مصر..إذا أردت الأخلاق الحسنة وحلاوة اللسان وحلاوة التلاوة والقرآن فالتفت لزاما إلى مصر ..فهي ليست بلدً عادياً , فمصر بلد عظيم القدر جليل الجناب اشار الله تعالى لكبر مصر , واشار لعظم مساحتها فقال جل وعلا ((فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿53﴾)) [الشعراء] .وهذا يدل على كثرة مدنها ولعظم قدر مصر ..ومنذ القديم افتخر فرعون انه يملكها دون غيرها فقال كما حكا الله جل وعلا عنه((أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ)) [الزخرف:51].قال عمرو بن العاص رحمه الله ورضي عنه قال :[ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة] يعني أن كل بلاد الاسلام في كفة , وإن الذي يلي على مصر يكون اخذ الكفة الاخرى .وقال سعيد ابن هلال إن مصر ام البلاد وغوث العباد , إن مصر مصورة في كتب الاوائل وقد مدت اليها سائر المدن يدها تستطعمها وذلك لأن خيراتها كانت تفيض على تلك البلدان]قال الجاحظ : [إن اهل مصر يستغنون بما فيها من خيرات عن كل بلد حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ماضرهم] .

<u>مصر أرض الشفاء :</u>

عن هذا الموضوع كتب الكاتب الكبير أنيس منصور في كتابه الممتع (من نفسي) ما يلي :

الحكيم بقراط كان ينصح الناس بالسفر إلي مصر للعلاج ، والحكيم جالينوس أيضاً ، والمؤرخ هيرودوت لم ينس أن صحته تحسنت عندما جاء إلي مصر وقال : ان العجائب التي في مصر قد انعشت روحه ، والشمس قد أذابت الصلابة في عضلاته ، والفراعنة هم أول من عرف أن الرطوبة الموجودة في الجو هي التي تفسد أجسام الموتي ، ولذلك كانوا يضعون الجثث في أماكن جافة بعيدة عن الرطوبة الموجودة في الهواء ، فأقاموا مقابرهم في الصحراء وفي جنوب مصر ، والفراعنة هم أول من نصح المريض بأن يبعد عن البيت والأسرة ومكان العمل ويذهب إلي الجنوب حيث الهدوء والدفء والجفاف وصفاء السماء ، والطب الحديث يؤكد أن حكمة الفراعنة صادقة وأطباء السويد الذين جاءوا إلي مصر في رحلات للعلاج السياحي يرون أن مصر كلها ، وليس جنوب مصر فقط ، ، هي أحسن مكان للعلاج من أمراض الشيخوخة والروماتزم واضطراب الدورة الدموية وكثير من الأمراض الجلدية ، ومنذ أيام قرأت تقريراً لبعض أطباء السويد يؤكدون فيه أن عشرات من المرضي من السويد والنرويج وفنلندا والدنمارك بعض المرضي جاء إلي مصر لا يقوي علي المشي وبعد أيام استمتع بركوب الخيل إلي جوار الهرم ، وبعض المرضي كان لا يقوي علي الجلوس علي مقعد له عجلات ، وبعد أيام كان يساعد المرضي الجدد في الجلوس علي هذا المقعد ويدفعهم إلي الأمام ، كل هذا قرأته ، ولولا أنني قرأت ذلك ما صدقته ، وزارني الدكتور مورسنج أحد المشرفين علي السياحة العلاجية وقلت له إن أسوان لم تكن تعرف الرطوبة ولا السحب ولا المطر وهي الآن أصبحت معتدلة الجو مثل الإسكندرية ، فهل هذه الرطوبة تعوق العلاج ؟

وأكد لي الدكتور مورسنج بالأرقام والتقارير الطبية أيضاً أن أسوان تشفي العليل ، وأن هناك سراً أو سحراً إشعاعياً في جنوب مصر وشمالها ، وأن هذا السر جعل مصر هي أصح بلد في العالم كله لعلاج كل الأمراض التي يشكو منها أهل السويد والنرويج وكل الدول الشمالية (وطلبت إليه أن يعيد هذه الجملة ، وأعادها بهدوء وبساطة كمن يقول أن 2 زائد 2 يساوي 4)

وشعرت بالارتياح وتمنيت أن أجد نفسي في أسوان بسرعة وأن أعرض نفسي لهذا السحر الإشعاعي الذي عرفه المؤرخ هيرودوت ولم يعرف اسمه ، ولما سألني الدكتور مورسنج عن الأمراض التي أشكو منها وسوف تشفيها أسوان قلت : مرض واحد اسمه القاهرة[33]

<u>مصر أول إمبراطورية في التاريخ :</u>

من كتاب مختارات من شخصية مصر للدكتور جمال حمدان حيث كتب ما ملخصه :

السؤال الأول هو : لماذا أول إمبراطورية ؟ من الواضح أن عوامل الطبيعة ، عوامل الموضع والموقع ، تتضافر هنا لتمنح مصر ثقلاً غير عادي من البداية ، والموضع الجغرافي كما قلنا هو البيئة الطبيعية المحلية داخل مصر نفسها – شكلها وطبيعتها ووزنها ، فهي كواحة فيضية تستقطب حول النهر قد تجانست بشرياً وتوحدت سياسياً منذ البداية وعلمتها دورة النهر النظام والقانون ثم منحتها زراعة الري (قاعدة أرضية) تعد بمقياس العصر ضخمة هائلة ، قوة إنتاجية سخية ، واكتفاء ذاتي تقريباً وقوة بشرية نادرة قوامها الكثافة لا المساحة ، وعلي ضوء إمكانيات الري الحوضي يمكن أن نقدر قوة تحمل مصر بالسكان طوال العصور القديمة هذه بنحو 12 مليون ، مع احتمالات خطأ معقولة ، وحول هذا كله كانت الصحراء (الرحم الجغرافي) الذي ولد فيه هذا الموضع في الأول ، ثم (الدرقة) الطبيعية التي حمته جميعاً بعد ذلك ، إن أولي الإمبراطوريات في التاريخ –رغم فولتير وإمبراطورية المناخ– هي إمبراطورية النيل ، فإذا أرسلنا النظر عبر الصحراء رأينا أننا إنما نقف في واسطة العقد في كل معني ، فحولنا منتثراً في كل الجهات شتيت من شعوب وجماعات ضئيلة الحجم والوزن ضعيفة الموارد والتنظيم – – – والحقيقة أن مصر طوال الجزء الأكبر من تاريخها القديم ، كما كانت النواة النووية لمنطقة حضارية بكاملها ، هي معظم العالم المعروف حينئذ ، كانت أيضاً من الناحية الاستراتيجية النواة النووية لمنطقة قوة عالمية لا تكاد تختلف في الامتداد والأبعاد بلغة ماكيندر كان الشرق القديم هو (هارتلاند) العصور القديمة ومصر محور ارتكازه PIVOT AREA ، بهذا كله كانت مصر القمة والقلب معاً ، القمة موضعاً والقلب موقعاً ، وبفضل هذا الأخير كان من السهل عليها أن تمد زراعيها بعيداً يميناً ويساراً وشمالاً وجنوباً – – – من الناحية الأخري كان طبيعياً أن يغري ثراء مصر وخصبها بعض هذه الأطراف الفقيرة إما في تسللات متلصصة أو في مغامرات تشنجية ، لا تخرج في مجموعها عن طمع من جانب الرمل في الطين ، أو الرعاة في الزراع ، وبهذا أصبحت أرض التخوم بالنسبة لمصر هي أرض المعركة ، والمعركة التأديبية أساساً ، بينما لا يقل نطاق الأمان من حولها عن الشرق الأوسط تقريباً ومن هنا توسعت الإمبراطورية إلي حدودها القصوي كلما أمكنها ذلك ، لا كاستعمار بالمعني المفهوم وإنما لنشر السلام المصري ، بل إننا لنستطيع أن نزعم بقليل من خشية أن الإمبراطورية المصرية كانت في جوهرها وفي معني ما (إمبراطورية دفاعية) أساساً حتمتها –كما سنري– ظروف الصراع الإقليمي والاستراتيجية العريضة في الشرق القديم[34]

---

[33] **نقلاً عن كتاب – من نفسي – للكاتب الكبير أنيس منصور – دار الشروق – الطبعة السابعة – صفحة 242–243**

[34] **نقلاً عن كتاب (مختارات3– من شخصية مصر) – مكتبة مدبولي**

مصر : جسم بشري واحد ووحيد ، ووسط جغرافي أحادي بالتأكيد ، ونهر سائد وفريد :

عن هذا الموضوع كتب د جمال حمدان ما يلي : – ، ، ، ومن هذا جميعاً نري أن الوحدة التاريخية التي لم تنقطع والتي كانت جزئياً ثمرة للتجانس البشري قد ضاعفت بدورها من هذا التجانس ، حتي قل أن نجد شعباً متماثلاً في ملامحه الجسمية والنفسية ، في مزاجه وتقاليده ، باختصار في (طابعه القومي) كالشعب المصري ، ولربما زدنا هذه الحقيقة وضوحاً إذا ما وضعناها موضع المقارنة مع بلاد أو شعوب أخري مجاورة في الشرق العربي مثلاً عبر العصور الطوال كما في يومنا هذا ، نجد أن سوريا تمتاز في كل نواحي حياتها وكيانها بمعادلة إقليمية أساسية تعد مفتاحاً لكل أعماق شخصيتها : إنها تتألف من عدد كبير من الوحدات الضئيلة : في الأرض والطبوغرافيا ، في العروق والسلالات ، في اللهجات والاتجاهات ، في الطوائف والملل ، حتي في المدن والواحات ، إنها في ذلك كله كومة مفككة من الأحجار الصغيرة وأكاد أقول من حصي وتراب ، والعراق أكثر تجانساً وتماسكاً ، فهو بنهريه وبيئتيه الطبيعيتين السهل والجبل – – إلخ ، أقرب إلي الثنائية التركيبية – إلي حجرين كبيرين نوعاً أما مصر في هذه المتتالية التصاعدية فتأتي علي القمة ، فهي حجر واحد monolith ، وحجر ضخم عند ذلك megalith ، فهنا جسم بشري واحد ووحيد ، ووسط جغرافي أحادي بالتأكيد ، ونهر سائد وفريد ، وهي لذلك كله أبعد ما تكون عن التنافر الداخلي ، أو التخلخل التركيبي ، ومنه تستمد ثقلاً ووقعاً ، وقوة اندفاع فرضت نفسها علي تاريخ المنطقة[35]

---

[35] نقلاً عن كتاب مختارات (3) من شخصية مصر للدكتور جمال حمدان – الفصل الخامس – وحدة مصر الوطنية –مكتبة مدبولي